

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

وغيرهما من أهله فدلوه بالغرور وحملوه على ما قضى بالاستيحاش منه والنفور وقووا
عزمه فيما يؤدي إلى اضطراب الأحوال واختلال الأمور فامتعض العساكر المنصورة مما أساء به
سياستهم وأبوا الصبر على ما غير به رسمهم وعاداتهم فلم رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم
الحال فيه وتيقن أن التغافل عنه يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه فكتب وليه وصفيه الذي
ربى في حجر الخلافة وسما به استحقاقه إلى أعلى درج الإنافة وحصلت له الرياسة باكتسابه
وانتسابه وغدا النظر في أمور المملكة لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به السيد الأجل الأفضل وهو
يومئذ والي الأعمال الغربية وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب وتستكشف به
ما عرا الدولة من هذا الخطب فأجاب دعاءه ولبى نداءه وقام قيام مثله ممن أجزل □ حظه من
الإيمان وجعله جل وعز حسنة هذا الزمان واختصه بعناية قوية وأمدّه بمواد علوية وأيده
بإعانة سماوية تخرج عن الاستطاعة البشرية فجمع الناس وقام خطيبا فيهم وباعثا لهم على ما
يزلفهم عند □ ويحظيهم وموضحا لهم ما يخشى على الدولة من الأمر المنكر فاجتمعوا إليه
كاجتماعهم يوم المحشر وغصت النجود والأغوار وامتألت السهول والأوعار وضائق الأرض على سعتها
بالخلائق وارتفعت في توجههم لطلب المذكور الأعذار والعوائق ولم يبق فضاء إلا وهو بهم شرق
ولا أحد إلا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك قلق وكان بهرام وأصحابه بالإضافة إليهم
كالشامة في اللون البسيط وكالقطرة في البحر المحيط وساروا مع السيد الأجل الأفضل نحوه
مسارعين وعلى الانقضاء عليهم متهافتين فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ولاذ بالهرب والفرار
يهجر المناهل ويطوي المراحل ويرى الشرود غنما ويعد السلامة حلما واستقرت وزارة أمير
المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضل الذي لم تنزل فيه رغبة وله خاطبة ونحو توليه إياها
متطلعة وإلى نظره فيها مبادرة متسعة